Coptology

ⲁⲛⲱⲩⲉ ⲛ̀ⲣⲉⲙⲛ̀ⲭⲏⲙⲓ

ماذا بعد هذه الحرب المُعلَنة على التاريخ والعقيدة، ولمصلحة من تدور رحى هذه الحرب؟

(٥)

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٦

– ١ –

الكنيسة،

الموضوع الغائب لأسباب معروفة

كنيسة واحدة

نقول في اعترافنا العالمي: "نؤمن بكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية"، ورغم ذلك جاء الانقسام في ٤٥١م وتلاه عدة انقسامات لم تهدد فقط وحدة الكنيسة، بل جعلت الحديث عن "كنيسة مقدسة" شبه معدوم لأسباب معروفة لا أريد الإسهاب في عرضها ولا في شرحها. يكفي أن أُذكِّر القارئ بأن أول كتاب معاصر لنا عن الكنيسة كان ولا يزال هو "الكنيسة الخالدة" للأب متى المسكين، ثم تلاه كتابين للرد على كتاب الأنبا شنودة "بدع حديثة"[١]. ذلك أن رد فعل الأنبا شنودة الثالث قد تطرف في اتجاهين: **الأول**: سخرية لاذعة عن الكنيسة جسد المسيح، وفي عبارات لا تليق أن يتفوه بها موعوظ: الكنيسة تسجد لنفسها – الكنيسة ... الخ. **والثاني**: تعليقه الساخر على ولادة آدم الجديد، أو الثاني في بيت لحم مسقط رأس البشرية المفتداة، بأننا نحن لم نولد من العذراء ... الخ.

الغائب، بل البعيد تماماً عن الوعي، هو جسد المسيح، الذي قسَّمه دون أن

(١) د. جورج حبيب بباوي، الرد على كتاب بدع حديثة، الكتاب الأول بعنوان: حقيقة وجوهر ما يُشاع باسم العقيدة الأرثوذكسية، القاهرة ٢٠٠٨. والكتاب الثاني بعنوان: هل هذه بدع، وهل هي حديثة، القاهرة ٢٠٠٩.

يدري الأنبا شنودة الثالث إلى ثلاثة أجساد قال عنها: جسد المسيح المولود من العذراء – جسد المسيح في الإفخارستيا – جسد المسيح الكنيسة. وأطلق على هذا التقسيم، نظرية "الأجساد الثلاثة"، وهي نظرية شاعت في العصر الوسيط الأوروبي، و لم يعرفها الشرق الأرثوذكسي من أكلمنضس السكندري حتى يوحنا الدمشقي وغريغوريوس بالاماس آخر عمالقة اللاهوتيين الأرثوذكس، إلى أن أحياها الأنبا شنودة من جديد!

لم يدرِ الأنبا شنودة أن هذه النظرية تهدم الوجود المسيحي كله، نفساً وجسداً. لأن السؤال الحاسم الذي يفرض نفسه عندئذٍ: إلامَ ينتمي المسيحي –الذي نال سر دخول شركة جسد المسيح في المعمودية وفي المسحة، وأين يجد نفسه (١كو ١٢: ١٢-١٣)؟ إلى أي جسد من هذه الأجساد الثلاثة ينضم؟ حسب صلوات المعمودية، هو يصبح عضواً في جسد المسيح الكنيسة "شجرة الزيتون المثمرة"، وهو أحد معاني الدهن بزيت الابتهاج "الغاليلاون"، دُهن قبول المتغرِّب عن الحياة الإلهية ليكون عضواً في جسد الرب الكنيسة. وبعد ذلك يشترك في الذبيحة الإلهية جسد الرب ودمه، فاذا حدث تقسيم جسد المسيح إلى ثلاثة أجساد، انهار تماماً قبوله في الكنيسة؛ لأن الكنيسة أصبحت جسداً آخر غير جسد الرب، هي الجسد الثالث. وبالتالي لم ينضم المسيحي إذن إلى الإله المتجسد، وإنما انضم إلى جسد ثالث، غير ذلك الجسد الذي ولد من البتول. وإذا تناول، فهو لا يشترك في المسيح الواحد، بل في مسيحٍ آخر ثانٍ له جسدٌ ثانٍ هو في الإفخارستيا، لا علاقة له بجسد الرب المصلوب والحي.

والخلاصة: ماذا أخذ المسيحي من نظرية الأجساد الثلاثة إلا اغترابه عن الرب والمخلص؟ وماذا نالت المرأة بعد أن دفعت الكراهية لها إلى منع النساء من لمس أجساد القديسين في الكنائس؛ لأن هكذا صارت ذخائر القديسين، تنتمي إلى كنيسة أخرى، ليست هي الكنيسة الواحدة، التي صارت تجمع الرجال والنساء، ليس حسب التكوين العضوي Gender بل حسب "الخلقة الجديدة"، أساس تكوين الكنيسة الذي يوصف بأنه: الكنيسة الواحدة المقدسة "المعيَّنة قبل الدهور لمجدٍ باقٍ غير متغير، والمتحدة

والمختارة بالآلام الحقيقية حسب مشيئة الله الآب ويسوع المسيح إلهنا"[١]. لأن "الجسد هو للرأس، ليس فقط في الكنيسة المحلية، بل في المسكونة كلها" (أوغسطينوس في شرح مزمور ٩٠: ١٠). وحسب القصد الإلهي يقول أوغسطينوس: "ميلاد الكنيسة قديم؛ لأنها كائنة حيثما يوجد الذين دُعُوا قديسين" (شرح مزمور ١٢٨: ٢)، بل إن خلق آدم وحواء هو إشارة إلى اتحاد الرب الرجل، بحوَّاء الكنيسة" (أكليمنضس الروماني، الرسالة الثالثة ١٤: ١ – ٤). وقد أسهب العلامة أوريجينوس في شرح هذا الاتحاد في شرح سفر النشيد (٢: ٨)، وهنا نضع قطوف من عند الآباء في الكنيسة:

– "الفردوس الذي غُرِسَ في المسكونة" (إيريناوس، ضد الهرطقات ٥: ٢٠: ٢).

– الكنيسة فردوس الله (أثناسيوس، ضد الأريوسيين ١: ٢).

– "المحبوبة، العروس، مجد المسيح" (أوغسطينوس ٢٦٢: ٥).

– "أنها الحمامة التي بشَّرت نوح بالسلام" (ترتليان المعمودية: ٨).

– "وهي فلك نوح" (كبريانوس رسالة ٧٥: ٢).

– "بناء الله" (أغسطينوس عظة ٣٦١: ٢١).

– "هيكل الله" (كبريانوس رسالة ٧٤: ٢).

– "بيت الله ليس مكاناً، بل اجتماع المؤمنين لأن "المسيح على بيته كابن ونحن بيته" (عب ٣: ١)" (ديديموس الضرير، شرح زكريا ٣: ٧٤).

وعندما نقول في القداس الإلهي: "ووضع لنا هذا السر العظيم الذي للتقوى"

---

(١) د. جورج حبيب بباوي، رسائل الشهيد أغناطيوس الأنطاكي، القاهرة، يناير ٢٠١٦، أفسس ١: ١، ص ٢٣.

(٢ تيمو ٣: ١٦)، يشرح ذهبي الفم عبارات الرسول:

"الكنيسة هي عمود الكون. لنفهم هذا السر الذي يدهشنا لأنه حقاً" عظيمٌ هو سر التقوى، الله ظهر في الجسد"، الخالق ظهر متجسداً، وتبرر بالروح كما هو مكتوب "الحكمة تبررت بأفعالها (متى ١١: ١٩)؛ لأن أفعال الحكمة كانت بلا خبث أو شر، ويقول النبي إنه لم يغش بفمه (أش ٥٣: ٩)، وشاهدته الملائكة؛ لأن الملائكة يجتمعون معنا لرؤية ابن الله الذي لم يشاهدوه (متجسداً) ... ويصف هذا التدبير بأنه "سر" لأنه لم يُعلَن لكل البشر، ولا حتى للملائكة؛ لأنه قال بكل صواب: "صار معروفاً بواسطة الكنيسة" (أفسس ٣: ١٠). ولذلك يقول: "وبلا شك عظيم هو سر التقوى". حقاً عظيمٌ؛ لأن الله صار إنساناً والإنسان صار إلهاً" (عظة ١١ على تيموثاوس الأولى ٤: ٣٧).

الجسد الواحد:

وعن شركتنا، نطلب في القداس الإلهي أن نكون "جسداً واحداً وروحاً واحداً ونجد نصيباً وميراثاً مع القديسين". ولا يمكن فصل الرأس عن الجسد؛ لأن الجسد بلا رأس هو جسدٌ ميِّتٌ، قُطِعَت رأسه. ولذلك يقول ذهبي الفم:

"الجسد والرأس واحد لأن الكنيسة والمسيح واحد" ولذلك أخبرنا الرسول عن المسيح بدلاً من أن يخبرنا بالكنيسة، إذ قد أعطى نفس الاسم لجسده حينما قال: وجسدكم واحد، رغم أنه مكوَّنٌ من أعضاء متنوعة، هكذا أيضاً الكنيسة لأننا نحن جميعاً واحد" (عظة ٣٠: ١ على كورنثوس الأولى).

مقدسة:

لا يحتاج هذا الوصف إلى برهان؛ لأن جسد المسيح هو الذي يكوِّن، ولا زال يكون، ويقدِّس الكنيسة. مصدر التقديس هو الرأس الذي مُسح بالروح القدس، فصار "المسيح"، لكي "نمسح نحن فيه" كما سلَّمنا ق أثناسيوس الرسولي (الرد على الأريوسيين ١: ٤٧).

قضية جيل خُدع:

١- تم خداع هذا الجيل بإشاعة أن الخطية تفصل الخاطئ عن الرب، وهو تعليم ضد كل ما في الأسفار المقدسة، وهو تعليم يجعل الخطية أقوى فاعليةً من النعمة. الرب هو الكلمة Logos الخالق الذي خلقنا، وهو يقول عنا في مثل الراعي في (يوحنا ١٠: ٢٩ - ٣٠) "خرافي في يدي ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي أنا والآب واحد أبي أعطاني إياها وهو أعظم من الكل"، ولكن للأسف، هكذا صارت الخطية أعظم من الآب والابن الروح القدس.

ونتيجةً لهذا الخداع، ظل أحد الأخوة المضلَّلين بهذا التعليم المزيَّف، يجادلني بكل عنف على مدى ساعتين من الزمان في شرح (يوحنا ١٥: ١-٢)، مصراً على أن الآب ينزع الأغصان، بالرغم من أنني ذكرت له أن مناسبة هذا المثل هي إسرائيل كرمة الرب التي نُقِلَت من أرض مصر (تكوين ٤٩: ١-١١ مزمور ٨٠: ٨-١١ – ارميا ٢: ٢١ – ارميا ٥: ١٠ – زكريا ٨: ٨٢)، ولذلك قال الرب إنه هو الكرمة الحقيقية، وصار تجسده هو استعلان هذه الحقيقة، ولذلك كان الرب يوبِّخ اليهود الذين لم يكن لهم وجود خاص بعد تجسده؛ لأن الكرمة الحقيقية التي غُرست وأنجبت، صارت هي أُمُّ النور حاملةُ عنقود الحياة، وصار تجسد الرب هو الذي يحمل تحذيراً لكل مَن يرفض الإيمان، وضعف الخطية ليس هو رفض الإيمان: "كل غصن في لا يأتي بثمر" ومع ذلك يقول لبطرس ولباقي التلاميذ الذين هربوا ساعة القبض عليه "أنا

الكرمة وأنتم الأغصان".

٢- كما تم خداع هذا الجيل بتزييف معنى "مقدَّس، ومقدَّسين"، أولاً باعتبار أن ما هو مقدس هو بلا خطية. وهذا خطأٌ فادح؛ لأن أجزاء خيمة الاجتماع مثل "القدس"، التي توصَف بأنها مقدسة، هي بلا إرادة. والمولود البكر فاتح الرحم يُدعى "قدوس"، و"قدس الأقداس" في الهيكل القديم، مقدس أيضاً، بل دُعيت ذبيحة الخطية "قدسُ أقداس" (لاويين ٦: ٢٩). وقد طلب الرب بنفسه إلى الآب: "قدسهم في حقك. كلامك (استعلانك) هو حق" (يوحنا ١٧: ١٧)، بل يقول الرب نفسه: "لأجلهم أقدس أنا ذاتي ليكونوا مقدسين في الحق" (يو ١٧: ١٩). فالتقديس تخصيص، والتقديس يرنو إلى ما هو أعظم، وهو نوال تقديس الروح القدس، ليكون لنا شركة في قداسة الله نفسه (عب ١٢: ١٠)؛ لكي يكون لنا هذه النعمة العظمى، أي رد ما هو خاص وفريد؛ لأن الله القدوس هو الله الذي لا مثيل له، وعندما نشترك في قداسة الله نرى الرب (عب ١٢: ١٤) لأننا بدون القداسة نحن خارج الشركة.

على هذا الأساس دُعي الذي دخلوا الإيمان قديسين (رو ١: ٧) "مدعوين قديسين" (١ كو ١: ٢) "كنيسة الله التي في كورنثوس المقدسين في المسيح"، "لأن المسيح صار لنا حكمة من الله وبراً وقداسةً وفداءً" (١كو ١: ٣٠). ومَن يدرس الرسالة الأولى إلى كورنثوس يدرك أن هذه الكنيسة كانت تعاني من انقسامات وخطايا كثيرة، ومع ذلك ظلَّ بولس في الرسالة الثانية يكتب إلى "القديسين أجمعين" (٢كو ١: ٢ راجع أفسس ٢: ١؛ لأن القديسين هم المؤمنون في المسيح يسوع (فيلبي ١: ١) "إلى جميع القديسين" (كولوسي ١: ١).

لقد دخل إلى الكنيسة الفكر الطبقي والرئاسي العسكري، أي طغمات لها رتب أعلى وأعظم، وهو ضد ما حاول الأريوباغي أن يثبت عكسه في الرئاسة السماوية ورئاسة الكهنوت؛ لأن المتقدم هو متقدم حسب النعمة، وليس حسب قدرة شخصية، أو امتياز. ونفس الكلام ينطبق على "رئاسة الكهنوت" في الأوشية؛ لأن

أسقف الإسكندرية متقدم، لا لكي يسود، بل لكي يحفظ وحدانية القلب التي للمحبة. وما يناله أحدٌ بنعمةٍ من الثالوث، لا تجعله النعمة أعظم أو أهم أو أكبر؛ هـذا ضـد تكوين الجسد الواحد المتنوع الأعضاء، مما جعل الرسول يكتب: "وأعضاء الجسد التي نحسب أنها بلا كرامة نعطيها كرامة أفضل، والأعضاء القبيحة فينا لها جمال أفضـل .. لكن الله مزج الجسد معطياً الناقص كرامةً أفضل" (١كو ١٢: ٢٣-٢٤). وهنا أدعو القارئ إلى تأمل المسرة والتفاخر بنشر الأخطاء والخطايا وإطلاق الألقاب .. الخ مـن أمور لا تجوز أصلاً، ولكنها صارت متعة عند الذين غاب عنـهم الـوعي المسـيحي الأرثوذكسي بأنهم مسيحيين. فمَن يصف كاتب هذه السطور بالمطرود والمحروم، يُظهِر مدى قبح حياته.

-٢-

الاستعداد الجسدي للتناول

الاستعداد الجسدي هو باستعداد القلب:

التعليم بأن إفرازات الجسد "فطر"، هو تعليمٌ متأخر، والعبرة ليست في قدم أو حداثة التاريخ؛ لأن التاريخ -رغم أهميته- لا يحكم على الإيمان. اعتبار أن إفرازات الجسد فطر، أي أن الجسد غير مستعد، هو كلام غير صحيح، والتخويف من التناول بمقولة إن "للسر مهابة"، هو كلام حق يراد به باطل لأن المهابة لا يفرضها قانون ولا تُنزع في النفوس بتدخل سافر سافل يتجلى في أن يعطي بعضهم لنفسه الحق في أن يسأل النساء عن الدورة الشهرية، أو عن العلاقات الزوجية. هذا سلوكٌ حقير سافل، ليس من حق أي إنسان أن يسأل عنه. وأن نترك الأمر لضمير المتناول، هو التعليم الذي يجب أن يُقال علناً، لا أن يفعل البعض كما يفعل أحد مطارنة الوجه البحري الذي كان يطوف ليسأل زوجات الكهنة عن أسرار مخدع الزوجية؛ الأمر الذي يكشف عن اشتياقات هذا المطران التي سُحِقت ومُنِعت، ليس بسبب فيض المحبة الإلهية، بل لأسباب أخرى لا تخفى على القارئ.

الفطرُ هو عدم الاستعداد حسب فهم الاستعداد في العصر الوسيط، الذي حدد "مهابة السر" في التناول فقط، لا فيما بعد التناول أيضاً، وهو الاتحاد بالرب يسوع، وهو هدف التناول لانطلاق القلب في آفاق الاتحاد بالرب التي لا يقوم الجسد فيها بأي دور؛ لأن الاتحاد هو الاستنارة التي يمنحها الروح القدس للنفس. وربط افرازات الجسد بالصوم هو تشريع غريب عن عطية الشركة؛ لأن الصوم هو

صوم العقل قبل أن يكون صوم الفم والبطن. وفي القرن الرابع وحسب شهادة القديس باسيليوس في الرسالة (٩٣) كان التناول يومياً في منازل المؤمنين وكان يؤخذ خبز الحياة لكي تشترك الأسرة كلها فيه[١]. ولعلنا نلاحظ أن وجود قراءات يومية في القطمارس، لهو دليل تاريخي يؤكد الاحتفال اليومي بالسر المقدس.

خطأٌ في التدبير:

الجسد لا يستعد بالصوم الجسداني، بل نقاوة القلب وطهارة الفكر توحِّد الجسد بالروح، ويصبح الجسد مرآةً للروح. أمَّا الاستحمام وغسل الأسنان، فهي نظافة تحتمها الحياة، ولا دخل لها بالمرة في علاقتنا بالله، أي علاقة الشركة؛ لأن هذه الشركة بدأت في المعمودية وفي مسحة الميرون، وصارت كاملةً بالتناول. ووحدة الأسرار الثلاثة هي التي تجعل الاستعداد القلبي هو تحقيق الاتحاد بالرب الذي بدأ في أسرار الانضمام إلى جسده .. أمَّا تقوى العصر الوسيط التي اهتمت كثيراً بنظافة الجسد والصوم قبل التناول، فقد أهملت تماماً حياة الشركة، والاتحاد الذي ينال زخم وقوة الخلاص.

---

(١) انظر ملحق هذا المقال.

-٣-

الرسالة إلى آمون،

القراءة التاريخية والقراءة الفردية

الذين ينكرون قداسة الجسد، هم الذين يمارسون "القنص"، ويحاولون أن يجدوا في الوثائق القديمة التي تشهد للتعليم الصحيح، فجوةً يتسللون منها للانقضاض على قداسة الجسد، والمثال على ذلك رسالة القديس أثناسيوس إلى آمون أب رهبان نتريا.

أولاً: ماذا تقول الرسالة: "كل الأشياء التي صنعها الله جميلة وطاهرة؛ لأن كلمة الله (الابن) لم يصنع شيئاً عديم النفع أو غير طاهر". هكذا رد القديس أثناسيوس الرسولي طهارة الخليقة إلى الخالق الابن الكلمة، ويؤكد: "لأننا رائحة المسيح الذكية في الذين يخلصون" (٢كو ٢: ١٥).

ثانياً: ولكن، رغم ذلك يؤكد الرسولي: "إن سهام الشيطان متنوعة وماكرة، وهو يتحايل لإزعاج البسطاء، ويحاول أن يعيق الإخوة عن الممارسات العادية ملقياً فيما بينهم سراً أفكاراً عن النجاسة والدنس.

ثالثاً: يسأل أثناسيوس نفسه ذات السؤال الذي طُرح منذ أكثر من ٤٠ عاماً: "ما هي الخطية أو النجاسة التي توجد في أي إفراز طبيعي؟" والجواب الذي يقدمه الرسولي جوابٌ شافٍ: "نؤمن -كما تقول الكتب الإلهية- أن الإنسان هو من عمل

يدي الله، فكيف يمكن أن يتكون عملٌ دنس من قوة نقية؟ وإذا كنا نحن ذرية الله (أع ١٧: ٢٨) "فليس في أنفسنا شيءٌ نجس. ولكننا حينما نرتكب خطية، وهي أكثر الأشياء قذارةً، فعندئذ فقط، نجلب الدنس. ولكن عندما يحدث أي إفراز جسدي بدون تدخل الإرادة، فإننا نعرف بالخبرة أن هذا يحدث كما في أشياء أخرى بضرورة الطبيعة". ثم يختم: "ولكن بأكثر اختصار .. من المعقول أن نقول إن أي إفراز طبيعي لنا لا يقدمنا أمامه للعقاب". وبعد أن يقدم رأي الأطباء يقول: "فباسم الله أسألك أيها الشيخ المحبوب جداً من الله، أي خطية إذن هناك إن كان الرب الذي صنع الجسد أراد، وصنع هذه الأجزاء لتكون لها مثل هذه المسالك"[١].

الخلفية التاريخية:

ما ذكره الرسولي يكفي، ولكن بسبب القنص وحشر ادعاءات لا تليق بمن هو أمين وصادق، علينا أن نلقي نظرةً موجزةً على كتابات القديس أثناسيوس نفسه؛ لنرى كيف استطاع أن يقدم هذه الرؤيا المسيحية الأرثوذكسية.

أولاً: التجسد قدَّس الجسد الإنساني، وهو ما ورد بوفرة في كتاب تجسد الكلمة[٢] حيث ذكر الرسولي أن جسد الكلمة جسدٌ مماثلٌ لطبيعة أجسادنا نحن البشر (تجسد الكلمة ٨: ٤ – ٩: ٢ – ٩: ٤ – ١٠: ٤).

- جسد قابل للموت (٩: ١ – ١٣: ٩ – ٢٠: ٤ – ٣١: ٤).

- فقد كان جسد الله الكلمة جسداً بشرياً (٢٠: ٤).

---

(١) راجع النص الكامل، نشره د. وليم سليمان في الدسقولية، ص ٧٥٠-٧٥٤. راجع أيضاً بشكلٍ عام كتابنا: تطور النظرة إلى التطهيرات الجسدية في الطقوس والقوانين الكنسية من العصر الرسولي حتى العصر الحديث، القاهرة ٢٠١٣، وعلى الأخص ص ٣٩ وما بعدها.

(٢) راجع كتابنا: محاضرات في تجسد الكلمة، الجزء الأول، القاهرة ٢٠١٠، ص ٩٠ وما بعدها.

ولكن الأهم هو: تقديس الجسد (١٧: ٥). وذلك الجسد المقدس هو الـذي تنادي به الليتورجيا: "جسد مقدس ودم كريم"، فقد مُسِحَ جسد الرب بالروح القدس عندما اعتمد في الأردن (ضد الأريوسيين ١: ٤٧)، والأهم "والآن قيل إنه تقدس لأنه الآن صار إنساناً (الجسد الذي تقدس هو جسده)، ومنه هو بـدأنا نأخـذ المسـحة والختم، يوحنا قائلاً "أنتم لكم مسحة من القدوس" (ضد الأريوسيين ١: ٤٧). فقـد مسح الرب لأن التقديس الذي تم في الرب كإنسان يصل إلينا نحن البشر منه (يسـوع المسيح) (ضد الأريوسيين ١: ٤٧). وفي المقالة الثانية فقرة ١٠ يقـول عـن تجسـد الكلمة: "لكن كلمة الله تأنس لكي يقدِّس الجسد، ورغم كونه الرب، إلاَّ أنـه أخـذ صورة العبد" لقد تقدمت الانسانية.

ثانياً: جاء الرب إلينا متجسداً لكي يحول الجنس البشري من آدم إليه هو. وفي عبارة لا تحتمل القنص يكتب الرسولي: "وُلِد الجسد من مريم والدة الإله، ولذلك قيل إنه هو نفسه الذي وُلِد مع أنه هو الذي يقدِّم لكل المخلوقات أصل وجودها، ولكـن لكي يحول أصلنا Origin إلى ذاته، فلا نعود بعد بشراً من تراب ونعود إلى التراب، بل التصقنا بالكلمة الذي من السماء ولنُحمَل به إلى السماء .. لأننا لا نمـوت حسـب أصلنا السابق أي آدم" (ضد الأريوسيين ٣: ٣٣، وراجع نفس الشرح في الرسـالة إلى أدلفوس فقرة ٤). فإذا كان الأصل، أي أصل الوجود قد نُقل في المسيح مـن آدم إلى الرب المتجسد، فكيف نعود بعد ذلك إلى آدم حيث شريعة موسى الخاصة بالخليقـة القديمة؟

ويبقى سؤال هام وضعه القانصون: هل ذكر القديس أثناسيوس في رسالته إلى آمون التناول أو الدورة الشهرية؟ وحسب النص والقنص، طبعاً لا توجد عبارة واحدة أشار فيها المعلم السكندري إلى ما يجول في عقول القناصة. لكن السؤال الكنسي الذي لا يسمح بالإجابة الشخصية الفردية التي تهدم ما كان يدافع عنه اثناسيوس هو:

هل تكلم عن قداسة الجسد؟ وهل قداسة الجسد خاصة بـــالرب وحـــده، أم بالرب رأس الجسد وبالأعضاء، أي نحن؟

هل ذكر أن وظائف الأعضاء هي من صنع إله الخير الخالق؟ حتماً؛ لأن تعليم الغنوسية والمانوية وثنائية أفلاطون والثقافة اليونانية السائدة بأن الجسد هـــو ســـجن الروح، جعل تأكيد صلاح الخليقة، كعمل الخالق الصالح، وصلاح التكوين الإنساني، أي الجسد، لا يسمح بأن تكون وظائف الأعضاء شريرة أو نجسة.

القنص لا يجدي؛ لأن انتقال أصل الإنسان من آدم إلى المسيح الرب هو "نقلةُ" العهد الجديد التي يجب أن نحرص عليها إن كنا لا نزال مسيحيين.

ملحق

-١-

الاستعداد للتناول

رسالة موجزة للأب صفرونيوس

صفرونيوس خادم بشارة الخلاص. محبةً في ربنا مؤسس المحبة، وسلاماً في يسوع رب المجد سلامنا الأبدي. جيدٌ أن نسهر في عشية ونصف الليل وباكر، والسهر هنا هو حفظ القلب وحراسة الحواس من كل ما هو غريب عن ربنا يسوع. الأعظم -يا أخوة- هو أن يكون لنا حراسةٌ ونقاوةٌ بعد شركتنا في الجسد والدم. هذه الشركة التي تجعل جسدنا هو جسد الرب؛ لأننا فعلاً "من عظامه ولحمه"، كما قال الرسول. وبعد التناول علينا أن نترك المائدة في هدوء ونختلي بالمخلص طالبين نار المحبة الإلهية التي لها جذوة حية لا تموت في داخلنا، ولنطلب اشتعال هذه النار لكي نذوق قوة الاتحاد بالرب.

الجسد ليس له كيانٌ خاصٌّ مستقلٌ عن الروح، ومَن يظن أن جسده له كيان وأهواء ذاتية خاصة بالجسد، فهو مَن أساء استخدام جسده، وظنَّ أنه كيانٌ آخر يلجأ إليه لطلب الملذات. أمَّا مَن تاب بقوة الروح القدس، فهو مَن صار جسده عقله، ونفسه المحسوس والمرئي؛ لأن تجديد الإنسان يجعل من الجسد صورةً (حرفياً أيقونة) للروح. ولذلك بعد شركتنا في السر، علينا ملازمة القلالي والهدوء، وطلب البقاء

الدائم في الرب بالاسم الحي الواهب الخلاص، اسم ربنا يسوع الذي عندما نقوله نصل إلى كمال سر الإفخارستيا، أي الشكر الدائم على عطية الحياة الأبدية، وعلى أننا صرنا متَّحدين بالرب. الاستعداد قبل التناول بالصلاة والصوم كلٌّ حسب احتياجه، يجب أن يقودنا إلى حفظ القلب ليسوع وحده، فهذا هو غاية التناول من جسد الرب ودمه، متوقعين أن ننال فيه قيامةً في يوم مجد ربنا يسوع عندما يأتي لكي يدين الكل.

اذكرونا في صلواتكم عندما تقفون عند مذبح الرب، والشركة في السر الإلهي. أنتم شركاء معنا في ميراث الحياة الأبدية.

.....

(الرسالة غير كاملة وربما ضاعت صفحة)

قام بالترجمة نيافة المتنيح الأنبا مكسيموس مطران القليوبية

-٢-

رسالة القديس باسيليوس رقم ٩٣ عن التناول

"حسنٌ ونافعٌ أن نتناول كل يوم، وأن نشترك في الجسد المقدس ودم المسيح. فقد قال هو بشكلٍ خاص: "من يأكل جسدي ويشرب دمي له حياةٌ أبدية" (يو ٦: ٥٤). ومن ذا الذي يشك في أن الاشتراك الدائم في الحياة هو ذاته الحياة الأفضل؟ أنا نفسي أتناول أربع مرات في الأسبوع: في يوم الرب، ويوم الأربعاء، ويوم الاستعداد (الجمعة)، ويوم السبت، وفي الأيام الأخرى في تذكار أيٍّ من القديسين.

ولا تدعونا الحاجة إلى أن نقول إنه في أيام الاضطهاد نفطر إلى أن نتناول بأيدينا بدون وجود قس أو خادم (دياكون)، فهذا ليس خطأً شنيعاً؛ لأن عادةً قديمةً سمحت بهذه الممارسة بسبب ما يحدث.

وكل النساك في البرية، حيث لا يوجد قس، يتناولون ويحفظون التناول في بيوتهم. وفي الإسكندرية، في مصر، كل واحدٍ من الشعب (العلمانيين) في معظم الأماكن (في الإسكندرية) يحفظ التناول في منزله، ويتناول عندما يريد؛ لأنه عندما يكمل القس الذبيحة ويقدمها، فالمتناول يشترك فيها دائماً لأنه يؤمن بثبات أنه يأخذ ويتناول من الواهب. وحتى في الكنيسة، عندما يقدم القس نصيب المتناول، فهو يأخذه بإرادته وبيده ويقدمه إلى فمه. هذا (التناول) هو تناول صحيح سواء أكان نصيباً واحداً أو عدة أنصبة أُخذت من القس في ذات الوقت".

د. جورج حبيب بباوي